مجلة آداب المستنصرية
٢٠٢٦ ،ايلول،مجلد ٥٠،العدد ١١٥، ص١-١٩
الجامعة المستنصرية

Mustansiriyah Journal of Arts
2026, September, Vol. 50, No. 115, PP.1-19
Mustansiriyah University

ISSN:0258-1086

أفعال الكلام في ديوان الحلاج – دراسة تداولية تحليلية

أ.م. د قاسم صاحب كريم حمادي
الجامعة المستنصرية/ كلية العلوم السياسية، بغداد، العراق
الكاتب المسؤول: qasims.karim@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل أفعال الكلام في شعر الحسين بن منصور الحلاج في ضوء المقاربة التداولية، اعتمادًا على نظرية أفعال الكلام، كما أسّسها جون أوستن، وطوّرها جون سيرل، وتسعى إلى الكشف عن الكيفية التي تتجاوز بها اللغة في ديوان الحلاج وظيفتها الوصفية، لتغدو أداة لإنجاز أفعال لغوية ذات أبعاد روحية وصوفية عميقة. تنطلق الدراسة من إشكالية مركزية مفادها: كيف تتجلى أفعال الكلام في شعر الحلاج، وما الوظائف التداولية التي تؤديها داخل الخطاب الصوفي؟ وللإجابة عن ذلك، اعتمدت الدراسة المنهج التداولي التحليلي، مستندة إلى تصنيف سيرل للأفعال الكلامية إلى: الإخباريات، والتوجيهات، والتعبيريات، والالتزاميات، والإعلانيات. وقد أظهرت النتائج أن شعر الحلاج يتسم بغنى ملحوظ في توظيف مختلف أنواع الأفعال الكلامية، غير أنها لا تؤدي وظائفها المباشرة، بل تتخذ طابعًا غير مباشر قائمًا على الرمز والإيحاء. فالأفعال الإخبارية تتحول إلى وسيلة للتعبير عن تجربة الفناء والاتحاد، بينما تعكس الأفعال التعبيرية حالات وجدانية عميقة، مثل الشوق والمعاناة. أما الأفعال التوجيهية، فتتجاوز وظيفتها التقليدية لتعبّر عن نزوع داخلي نحو تجاوز الذات، في حين تجسّد الأفعال الالتزامية التزامًا روحيًا قائمًا على الثبات في طريق المحبة. وتبرز الأفعال الإعلانية بوصفها أداة لإعلان التحول الوجودي، رغم محدودية حضورها. كما كشفت الدراسة عن مجموعة من الخصائص التداولية في الخطاب الحلاجي، من أبرزها: اعتماد الأفعال غير المباشرة، وتعدد مستويات الدلالة، وكثافة الرمز والإيحاء، فضلًا عن الدور الحاسم للسياق الصوفي في توجيه المعنى وتأويله. وتخلص الدراسة إلى أن نظرية أفعال الكلام تمثل إطارًا منهجيًا فاعلًا في تحليل الشعر الصوفي، إذ تتيح الكشف عن الأبعاد الإنجازية للغة، وتبرز كيف يتحول الخطاب عند الحلاج إلى ممارسة لغوية تعبّر عن تجربة روحية عميقة تتجاوز حدود المعنى الظاهري.

الكلمات المفتاحية: الخطاب الصوفي، السياق التداولي، أفعال الكلام، التداولية، الحلاج

تأريخ الاستلام: ٢٢-١٢-٢٠٢٥ **تأريخ القبول:** ٨-٦-٢٠٢٦ **تأريخ النشر:** ١-٩-٢٠٢٦

Speech Acts in Al-Hallaj's Diwan: A Pragmatic and Analytical Study

Mustansiriyah Journal of Arts
2026, September, Vol. 50, No. 115, PP.1-19
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
٢٠٢٦،ايلول،مجلد ٥٠،العدد ١١٥، ص١-١٩
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

Assistant Professor Dr. Qasim Sahib Karim Hammadi
Al-Mustansiriya University / College of Political Science, Baghdad, Iraq
Corresponding author: qasims.karim@uomustansiriyah.edu.iq

Abstract

This study aims to analyze speech acts in the poetry of al-Husayn ibn Mansur al-Hallaj from a pragmatic perspective, drawing on speech act theory as established by John Austin and developed by John Searle. It seeks to reveal how language in al-Hallaj's Diwan transcends its descriptive function to become a tool for achieving linguistic acts with profound spiritual and mystical dimensions. The study begins with a central question: How do speech acts manifest in al-Hallaj's poetry, and what pragmatic functions do they perform within Sufi discourse? To answer this, the study adopts an analytical pragmatic approach, based on Searle's classification of speech acts into: informative, directive, expressive, obligatory, and declarative. The results showed that al-Hallaj's poetry is remarkably rich in its use of various types of speech acts, though these do not perform their direct functions but rather take on an indirect character based on symbolism and suggestion. Informative verbs become a means of expressing the experience of annihilation and union, while expressive verbs reflect profound emotional states such as longing and suffering. Directive verbs transcend their traditional function to express an inner inclination toward self-transcendence, while obligatory verbs embody a spiritual commitment based on steadfastness on the path of love. Declarative verbs stand out as a tool for announcing existential transformation, despite their limited presence. The study also revealed a set of pragmatic characteristics in al-Hallaj's discourse, most notably the reliance on indirect verbs. The study examines the multiple levels of meaning, the density of symbolism and allusion, and the crucial role of the Sufi context in shaping and interpreting meaning. It concludes that speech act theory provides an effective methodological framework for analyzing Sufi poetry, as it allows for the unveiling of the performative dimensions of language and highlights how, in al-Hallaj's work, discourse transforms into a linguistic practice that expresses a profound spiritual experience transcending the literal meaning.

Keywords: Sufi discourse, pragmatic context, speech acts, pragmatics, Al-Hallaj.

Received: 22-12-2025 **Accepted: 8-6-2026** **Published: 1-9-2026**

١ – المقدمة:

يُعَدّ الحسين بن منصور الحلاج من أبرز رموز التصوف الإسلامي في القرن الثالث الهجري، إذ احتل مكانة مركزية في مسار الفكر الصوفي بفضل تجربته الروحية العميقة التي صاغها بلغة رمزية وإيحائية كثيفة. وُلد في بلاد فارس، وتنقّل بين عدد من الحواضر الإسلامية، مثل البصرة وبغداد، حيث تلقّى معارفه وتأثر بأعلام التصوف، قبل أن يبلور تجربته الخاصة التي اتسمت بالجرأة والتفرّد (بدوي، ١٩٩٨، صفحة ٢١٥)

وقد ارتبط اسمه بعبارته الشهيرة "أنا الحق"، التي أُوِّلت صوفيًا بوصفها تعبيرًا عن حالة الفناء في الذات الإلهية، إذ يتلاشى وعي العبد بذاته ليبقى بالله. غير أن هذه العبارة أُسيء فهمها من قبل بعض معاصريه، فاتهموه بالزندقة والحلول، وانتهى الأمر بمحاكمته وإعدامه في بغداد سنة ٣٠٩هـ (الطوسي، ١٩٦٠، صفحة ٣١٢). ويتميّز شعر الحلاج بكونه تجسيدًا مباشرًا لتجربته الصوفية، إذ تتقاطع فيه مفاهيم الحب الإلهي،

Mustansiriyah Journal of Arts
2026, September, Vol. 50, No. 115, PP.1-19
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
٢٠٢٦،ايلول،مجلد ٥٠،العدد ١١٥، ص١-١٩
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

والفناء، والاتحاد ضمن خطاب لغوي موحٍ يقوم على الرمز والتكثيف، مما يجعله مجالًا خصبًا للدراسة التداولية ولا سيما في إطار تحليل الأفعال الكلامية التي تتجاوز ظاهر القول إلى أبعاده العميقة (قاسم، ٢٠٠٣، صفحة ٨٧)

ومع تطور الدرس اللساني الحديث، لم يعد النص الشعري يُدرس من زاوية دلالية أو بلاغية فحسب، بل أصبح موضوعًا لمقاربة تداولية تركّز على اللغة في سياق الاستعمال، وعلى ما تنجزه الأقوال من أفعال داخل الخطاب. وفي هذا السياق، تبرز نظرية أفعال الكلام التي أسّسها جون أوستن، وطوّرها جون سيرل، التي تنطلق من أن القول ليس مجرد أداة لنقل المعنى، بل فعل إنجازي يتحقق داخل سياق تواصلي محدد، ويؤثر في المتلقي ويوجه تأويله.

وتنبع أهمية هذه الدراسة من سعيها إلى توظيف هذه المقاربة التداولية في تحليل ديوان الحلاج، بهدف الكشف عن الأبعاد الإنجازية للخطاب الصوفي، وبيان كيفية تحوّل اللغة إلى أداة لإنجاز أفعال روحية تتجاوز حدود التعبير الظاهري. فشعر الحلاج، بما يتضمنه من عبارات مثل "أنا من أهوى ومن أهوى أنا" و"اقتلوني يا ثقاتي"، يُمثّل أنموذجًا غنيًا للأفعال الكلامية التي تتداخل فيها الوظائف الإخبارية والتعبيرية والتوجيهية والإعلانية، ضمن بنية لغوية تعتمد على الرمز والإيحاء.

وانطلاقًا من ذلك، تتمحور إشكالية البحث حول السؤال الرئيس الآتي: كيف تتجلى أفعال الكلام في ديوان الحلاج؟ وما الوظائف التداولية التي تؤديها داخل الخطاب الصوفي؟ ويتفرع عن هذا التساؤل عدد من الأسئلة الجزئية، منها: ما مفهوم أفعال الكلام في الدراسات التداولية؟ وما أبرز تجلياتها في شعر الحلاج؟ وما الوظائف الإنجازية التي تحققها؟ وكيف يسهم السياق الصوفي في توجيه المعنى وتأويله؟

ويسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، أبرزها: الكشف عن البنية التداولية في شعر الحلاج، وتحليل الأفعال الكلامية استنادًا إلى تصنيف سيرل، وبيان العلاقة بين اللغة الصوفية والقوة الإنجازية للخطاب، فضلًا عن إبراز الخصوصية الأسلوبية التي تميز هذا الشعر. ولبلوغ هذه الغاية، يتبنّى البحث مقاربة تداولية تحليلية، قائمة على فحص نماذج منتقاة من ديوان الحسين بن منصور الحلاج في ضوء مفاهيم أفعال الكلام، مع استحضار السياق الصوفي باعتباره إطارًا حاكمًا يوجّه الدلالة ويضبط تأويلها.

تتبدّى أهمية هذا البحث في إسهامه في توسيع أفق الدراسات التداولية في حقل الأدب الصوفي، وإبراز فاعلية المناهج اللسانية الحديثة في استنطاق النصوص التراثية والكشف عن طبقاتها الدلالية العميقة، فضلًا عن تمهيده الطريق لدراسات لاحقة تُعنى بمقارنة التجارب الصوفية في ضوء المقاربات التداولية.

وبذلك، لا يقتصر هذا العمل على تحليل نصوص شعرية فحسب، بل يسعى إلى بناء تصور أعمق للعلاقة بين اللغة والتجربة الروحية، وإظهار الدور الذي تنهض به الأفعال الكلامية في تشكيل الخطاب الصوفي وتوليد معانيه.

Mustansiriyah Journal of Arts
2026, September, Vol. 50, No. 115, PP.1-19
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
٢٠٢٦،ايلول،مجلد ٥٠،العدد ١١٥، ص١-١٩
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

المبحث الأول:

١.مفهوم التداولية:

تُعرَّف التداولية بأنها أحد فروع اللسانيات التي تُعنى بدراسة اللغة في سياق استعمالها الفعلي، إذ لا يقتصر تحليل الخطاب فيها على البنية اللغوية أو المعنى الحرفي، بل يتجاوزه إلى استكشاف مقاصد المتكلم، وطبيعة العلاقة بين أطراف التواصل، والظروف التي يُنتَج فيها القول. ومن ثمّ، تركّز التداولية على ما يُراد بالكلام أكثر من تركيزها على ما يُقال في ظاهره (عبد الرحمن ، ٢٠٠٥، صفحة ٤٥)

وقد برزت التداولية بوصفها اتجاهًا لسانيًا حديثًا يسعى إلى تجاوز حدود المقاربات البنيوية، عبر الاهتمام بالبعد الاستعمالي للغة وربطها بسياقاتها الاجتماعية والثقافية، بحيث يغدو المعنى نتاج تفاعل بين النص وعناصر خارجة عنه، كالمقام والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين (نحلة، ٢٠٠٢، صفحة ٢٧)وترتبط التداولية ارتباطًا وثيقًا بنظرية أفعال الكلام، وتنظر إلى اللغة باعتبارها وسيلة لإنجاز الأفعال، لا مجرد أداة لنقل المعاني، مما يجعل الخطاب فضاءً للتأثير والتفاعل بين المتكلم والمتلقي (حسان، ٢٠١٠، صفحة ٦٣). وانطلاقًا من ذلك، تُعدّ التداولية إطارًا منهجيًا ملائمًا لتحليل الخطابات ذات الطبيعة الرمزية، كالنص الصوفي، إذ تتعدد مستويات الدلالة، ويغدو فهم المعنى رهينًا بالسياق الروحي والثقافي الذي يُنتَج فيه الخطاب.

٢.عناصر العملية التداولية:

ترتكز التداولية على منظومة من العناصر المتداخلة التي تتكامل فيما بينها لتفسير الخطاب في سياق الاستعمال؛ إذ لا يتحدد المعنى إلا من خلال التفاعل بين هذه المكوّنات داخل العملية التواصلية. ومن أهم هذه العناصر:

أ–المتكلم (Speaker) :

يُعدّ المتكلم مصدر الخطاب ومنتجه؛ فهو الذي يبني قوله انطلاقًا من قصد تواصلي محدد يسعى إلى تحقيقه عبر اللغة، سواء تمثّل ذلك في الإخبار، أو التأثير، أو التوجيه. ويغدو استحضار نية المتكلم عنصرًا حاسمًا في فهم المعنى التداولي، لأن تفسير الخطاب يظل ناقصًا إذا عُزل عن مقصد صاحبه. (البراهمة، ٢٠١٢، صفحة ٦١)

ب–المخاطب (Hearer) :

يمثّل المخاطب الطرف المتلقي الذي يضطلع بمهمة تأويل الخطاب، اعتمادًا على رصيده اللغوي والثقافي، وقدرته على استنباط الدلالات الضمنية. ولا يقتصر دوره على التلقي السلبي، بل يسهم بفاعلية في بناء المعنى من خلال تفاعله مع السياق الذي يَرِد فيه الخطاب. (الخطابي، ١٩٩١، صفحة ٧٤)

ج–السياق (Context) :

ISSN:0258-1086

يشكّل السياق إطارًا حاسمًا في توجيه الدلالة، إذ يضم مختلف الظروف المحيطة بإنتاج الخطاب. ويمكن التمييز فيه بين:

١-السياق اللغوي (النصي) :ويتعلق بالبنية الداخلية للنص والعلاقات بين مكوّناته.

٢-السياق المقامي :ويشمل الملابسات الاجتماعية والثقافية والتاريخية التي تحيط بالخطاب. ويؤديان هذان المستويان دورًا أساسيًا في تحديد المعنى وضبط تأويله. (الزيات، ٢٠٠٤، صفحة ٣٨)

د-القصد (Intentionality):

يمثّل القصد محور العملية التداولية؛ لأنه يجسّد الغاية التي يتوخّاها المتكلم من خطابه، سواء أكانت صريحة أم مضمرة. ولا يتحقق الفهم الدقيق للخطاب إلا باستحضار هذا البعد، لا سيما في النصوص التي تعتمد على الإيحاء والتلميح. (السعران، ١٩٩٠، صفحة ١١٢)

ومن خلال تفاعل هذه العناصر، يتضح أن التداولية تنظر إلى اللغة بوصفها نشاطًا تواصليًا متحركًا، تتشكل فيه الدلالة عبر التفاعل بين المتكلم والمخاطب ضمن سياق محدد.

٣.نظرية أفعال الكلام:

تُعدّ نظرية أفعال الكلام من أبرز المقاربات اللسانية الحديثة التي أسهمت في تطوير الدرس التداولي، وقد ارتبطت بداياتها بالفيلسوف جون أوستن، الذي انطلق من فكرة جوهرية مفادها أن اللغة لا تستعمل لنقل المعاني فحسب، بل تُسهم في إنجاز أفعال داخل سياق تواصلي معين؛ وهو ما لخّصه في القول الشهير: "القول هو فعل" (نحلة، ٢٠٠٢، صفحة ٨٥). وقد واصل جون سيرل تطوير هذه النظرية، فعمل على تصنيف الأفعال الكلامية إلى خمسة أنماط رئيسة، اعتمادًا على الوظيفة التي ينهض بها القول داخل السياق التداولي، وهي:

١-**الإخباريات (Representatives)**: وهي الأفعال التي يعبّر فيها المتكلم عن اعتقاده أو يقدّم توصيفًا لواقع معيّن، مثل الإخبار والتقرير. (حسان، ٢٠١٠، صفحة ١١٢)

٢-**التوجيهات(Directives)**: تستهدف حثّ المخاطب على إنجاز فعل ما، كما في صيغ الأمر والنهي والطلب. (عبد الرحمن م.، ٢٠٠٨، صفحة ٧٤)

٣-**الالتزاميات (Commissives)**: يلتزم فيها المتكلم بإنجاز فعل مستقبلي، مثل الوعد والتعهّد. (نحلة، ٢٠٠٢، صفحة ٩١)

٤-**التعبيريات (Expressives)** : تعكس الحالة النفسية أو الشعورية للمتكلم، كالشكر والاعتذار ونحوهما. (حسان، ٢٠١٠، صفحة ١١٨)

٥-**الإعلانيات (Declarations)** :وهي الأفعال التي تُحدث أثرًا في الواقع بمجرد التلفّظ بها، مثل الإعلان أو إصدار الأحكام. (عبد الرحمن م.، ٢٠٠٨، صفحة ٨٠)

Mustansiriyah Journal of Arts
2026, September, Vol. 50, No. 115, PP.1-19
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
٢٠٢٦،ايلول،مجلد ٥٠،العدد ١١٥، ص١-١٩
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

وتجدر الإشارة إلى أن الأفعال الكلامية قد تَرِد بصيغة مباشرة، إذ يتطابق البناء اللغوي مع الوظيفة التداولية، وقد تأتي بصيغة غير مباشرة، يُراد فيها معنى يتجاوز الدلالة الظاهرة للقول.

وهذا ما يضفي على الخطاب عمقًا تداوليًا، يتجلّى بوضوح في النصوص ذات الطابع الرمزي، كالنص الصوفي. (عبد الرحمن ط.، ٢٠٠٥، صفحة ٦٧)

المبحث الثاني:

١-التحليل التداولي لأفعال الكلام في ديوان الحلاج:

١-الأفعال الإخبارية: تُعدّ الأفعال الإخبارية من أكثر أنماط الأفعال الكلامية حضورًا في شعر الحلاج، إذ تُستعمل في ظاهرها للتعبير عن مواقف يعتقد المتكلم بصحتها، أو لنقل تجربة ذاتية يتعامل معها بوصفها حقيقة وجودية. غير أنّ هذه الأفعال، في سياق الخطاب الصوفي، لا تظل محصورة في وظيفتها الإخبارية المباشرة، بل تتجاوزها لتؤدي وظائف تداولية مركّبة، ترتبط بطبيعة التجربة الروحية القائمة على الرمز والإيحاء .ومن الأمثلة الدالة على ذلك قول الحلاج: (الحلاج، ١٩٩٣، صفحة ١٧)

أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا نَحْنُ رُوحَانِ حَلَلْنَا بَدَنًا ذَا الْقَوْلِ

يتكوّن هذا القول من جملتين اسميتين تتمحوران حول الضمير "أنا"، في صيغة تُقيم علاقة مساواة بين طرفين (أنا / من أهوى)، بما يوحي، في مستواه الظاهري، بعلاقة تطابق واتحاد بين المتكلم والمحبوب، ومن ثمّ فإن الفعل الكلامي الظاهر هو فعل إخباري.

غير أن التحليل التداولي يكشف عن مستوى أعمق، إذ لا يقتصر الخطاب على نقل حالة أو وصف واقع، بل يتجاوز ذلك إلى إنجاز فعل إعلاني ضمني، يتمثل في إعلان وحدة الذات بالمحبوب. فالحلاج لا يصف تجربة عادية، وإنما يُنشئ عبر القول واقعًا صوفيًا قائمًا على الفناء وسقوط التمايز. ويمكن توضيح هذا التحول التداولي من خلال المقابلة الآتية:

الظاهر اللغوي	**المقصود التداولي**
أنا أحب	لا وجود لثنائية
أنا هو	اتحاد كامل

يتبيّن، في ضوء التحليل التداولي، أن المعنى في هذا الخطاب لا يُدرك على مستواه الحرفي، بل يقتضي تأويلًا صوفيًا يستحضر مفهومي الفناء والاتحاد، إذ تتلاشى الأنا الفردية لتحل محلها وحدة وجودية شاملة. ومن ثمّ، لا تُفهم الجملة بوصفها خبرًا منطقيًا بالمعنى التقليدي، بل بوصفها تجسيدًا لتجربة وجودية يُعاد بناؤها لغويًا داخل الخطاب.

ويسهم التكرار في عبارة "أنا... أنا" في تعزيز هذا البعد، إذ يؤدي وظيفة تأكيد وحدة الذات، في حين تعمل المقابلة بين طرفي العلاقة على إلغاء التمايز بينهما، مما يدعم القوة الإنجازية للقول، ويُبرز طابعه التداولي

Mustansiriyah Journal of Arts
2026, September, Vol. 50, No. 115, PP.1-19
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
٢٠٢٦،ايلول،مجلد ٥٠،العدد ١١٥، ص١-١٩
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

القائم على الإيحاء بدل التصريح. (محمود، ١٩٩١، صفحة ١٦٧). وعلى هذا الأساس، يتحول الإخبار عند الحلاج من مجرد نقلٍ للمعنى إلى إعلانٍ للوجود. ويتأكد هذا المنحى في موضع آخر من ديوان الحلاج، إذ قال: (الحلاج، ١٩٩٣، صفحة ١٧):

كَتَبتُ وَلَمْ أَكتُب إِلَيكَ وَإِنَّمَا كَتَبتُ إِلى روحِي بِغَيرِ كِتَابِ
وَذَلِكَ أَنَّ الرُوحَ لا فَرقَ بَينَهَا وَبَيْنَ مُحَبّيهَا بِفَصلِ خِطَابِ
وَكُلُّ كِتَابٍ صَادِرٍ مِنْكَ وَارِدٌ إِلَيكَ بِلَا رَدِّ الجَوابِ جَوابي

تقوم الأبيات على سلسلة من الجمل الخبرية: "كتبتُ / لم أكتب / كتبتُ إلى روحي. الروح لا فرق بينها ... كل كتاب صادر منك وارد إليك..." لقد قدّم المتكلم (الحلاج) تقريرًا لحالة يراها حقيقة وجودية، وهي امتزاج روحه بروح المحبوب. غير أن هذا الإخبار لا يُفهم على ظاهره الحرفي، بل يحمل دلالة صوفية عميقة تتمثل في الفناء والاتحاد. طبيعة الإخبار عند الحلاج ليس تقريرًا واقعيًا مباشرًا، بل إخبار وجودي" كتبت إلى روحي"

لا يصف حدثًا ماديًا، بل يقرّر: وحدة المتكلم والمخاطب. إخبار صوفي تأويلي" الروح لا فرق بينها وبين محبيها"جملة خبرية، لكنها تعلن مبدأ صوفيًا (الفناء/الاتحاد). القوة الإنجازية للأفعال الإخبارية، رغم كونها خبرية، إلا أنها تؤدي وظائف أعمق؛ إلغاء الثنائية. كاتب / مكتوب إليه. أنا / أنت.

إن الإخبار في هذا السياق لا يقتصر على نقل المعنى، بل يؤدي وظيفة إنجازية تتمثل في إلغاء المسافة بين طرفي الخطاب، إذ يتحول القول إلى وسيلة لإزالة الفارق بين المتكلم والمخاطب. كما تسهم عبارة "بغير كتاب" في إعادة تعريف مفهوم التواصل، عبر نفي الوسيط اللغوي، والإشارة إلى تجاوز اللغة ذاتها، بما يجعل الفعل الإخباري أداة لتفكيك فعل التواصل التقليدي.

ويتعزز هذا المعنى في قوله: "كل كتاب صادر منك وارد إليك"، الذي يبدو في ظاهره خبرًا، غير أنه يؤدي وظيفة أعمق تتمثل في التعبير عن دوران وجودي قائم على وحدة المصدر والغاية، حيث يتلاشى التمايز بين البداية والنهاية؛ لأن الأفعال الإخبارية في هذا الخطاب لا تؤدي وظيفتها المباشرة، بل تتحول إلى أفعال غير مباشرة ذات أبعاد تداولية عميقة.

الظاهر اللغوي	المقصود التداولي
كتبت	لا كتابة فعلية
روح/مخاطب	لا انفصال
كتاب	رمز

يتبيّن أن الإخبار لا يُؤدَّى هنا بوصفه نقلًا للوقائع، بل بوصفه بناءً رمزيًا لتجربة صوفية، لا تُفهم إلا في ضوء سياق تداولي قائم على الفناء والاتحاد وسقوط الوسائط. وعليه، تتحول الجمل الخبرية من أدوات تقرير إلى صيغ إنجازية تُعيد تشكيل التجربة وجوديًا، الإخبار الحلاج إنشاءً للمعنى لا تبليغًا له.

Mustansiriyah Journal of Arts
2026, September, Vol. 50, No. 115, PP.1-19
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
٢٠٢٦،ايلول،مجلد ٥٠،العدد ١١٥، ص١-١٩
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

٢-**الأفعال التوجيهية:** تُعرَّف الأفعال التوجيهية بأنها من الأفعال الكلامية التي يقصد بها المتكلم حملَ المخاطب على إنجاز فعل معيّن، كالأمر والنهي والطلب والالتماس، وهي تعبّر عن رغبة في التأثير في سلوك المتلقي وتوجيهه. غير أنّ هذا النمط من الأفعال في شعر الحسين بن منصور الحلاج لا يظل محصورًا في وظيفته المباشرة، بل يتخذ أبعادًا تداولية تتجاوز ظاهر الطلب إلى التعبير عن مقاصد روحية عميقة. ومن الشواهد الدالة على ذلك قوله: (الحلاج، ١٩٩٣، صفحة ١٧)

أُقْـتُـلُـونِي يَا ثِـقَاتِي إِنَّ فِي قَـتْـلِي حَيَاتِي

يبدو الفعل "اقتلوني" في مستواه الظاهري أمرًا مباشرًا، يُفترض أن يهدف إلى حمل المخاطب على تنفيذ فعل القتل، غير أن التحليل التداولي يكشف عن انزياح دلالي يعيد تشكيل وظيفة التوجيه ذاتها. فالمخاطب هنا لا يُراد منه إنجاز الفعل في واقعه الحرفي، بل يُستدعى ليكون شاهدًا على تجربة صوفية، إذ يتحول الأمر من توجيهٍ للسلوك إلى استدعاءٍ للوعي.

وعلى هذا الأساس، لا يُفهم الفعل التوجيهي في هذا السياق بوصفه طلبًا حقيقيًا، بل بوصفه فعلًا غير مباشر يعبّر عن تجربة الفناء الصوفي، إذ تشير عبارة "اقتلوني" إلى قتل الأنا ومحو الذات الفردية، لا إلى القتل الحسي. ويعزز هذا التحول قوله: "إن في قتلي حياتي"، الذي يقدّم مفارقة دلالية تُربك أفق التلقي، وتدفع إلى التأويل، بما يحوّل التوجيه من طلبٍ صريح إلى بنية رمزية قائمة على الإيحاء.

وتؤدي هذه المفارقة وظيفة تداولية أساسية، إذ لا تعمل على تحقيق الامتثال، بل على إثارة التأويل وإعادة بناء المعنى، وهو ما يجعل التوجيه هنا غير مباشر، قائمًا على خلخلة أفق التوقع لدى المتلقي. ومن ثمّ، يغدو الخطاب مزيجًا من التوجيه والتعبير والإعلان، يعكس تجربة وجودية عميقة تتجاوز حدود اللغة المباشرة. لذا يتحول التوجيه عند الحلاج من طلبٍ للفعل إلى دعوةٍ لتجاوز الذات، إذ لا يُوجَّه القول إلى الخارج، بل إلى الداخل. فالتوجيه عند الحلاج لا يصنع الفعل، بل يصنع الوعي به.

الظاهر اللغوي	**الوظيفة التداولية الحقيقية**
اقتلوني	أفنوني / حرّروني من الأنا
حياتي في قتلي	البقاء بالله

يتضح من هذا التحليل أن الخطاب ينتقل من مستواه الحرفي إلى مستوى رمزي، إذ لا يعود الأمر موجّهًا لتحقيق فعل عملي، بل يتحول إلى بنية دلالية قائمة على الإيحاء والتأويل. كما يبرز البعد العاطفي في النداء "يا ثقاتي" بوصفه عنصرًا تداوليًا حاسمًا، إذ يسهم في بناء علاقة ثقة بين المتكلم والمخاطب، مما يُضفي على الخطاب طابعًا وجدانيًا يخفف من حدّة الأمر، ويحوّله من صيغة إلزامية إلى نداء عاطفي قائم على التقارب لا القهر. ومن جهة أخرى، لا يقتصر المخاطب في هذا السياق على أشخاص خارجيين، بل يمكن أن يتسع ليشمل

Mustansiriyah Journal of Arts
2026, September, Vol. 50, No. 115, PP.1-19
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
٢٠٢٦،ايلول،مجلد ٥٠،العدد ١١٥، ص١-١٩
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

الذات، أو المجتمع، أو الوجود في بعده الكلي، وهو ما يمنح الخطاب طابعًا كونيًا يتجاوز حدود التواصل المباشر. ويمكن تلخيص هذا التحول التداولي العميق في الجدول الآتي:

الوظيفة التقليدية	**عند الحلاج**
أمر بالفعل	كشف عن حالة وجودية
توجيه للآخر	تعبير عن الذات
تغيير سلوك	إعلان تجربة

يتضح أن التوجيه في شعر الحلاج لا يُفهم بوصفه طلبًا لإنجاز فعل، بل بوصفه دعوة إلى تجاوز الذات، إذ يتحول الخطاب من أداة للتأثير الخارجي إلى وسيلة لإحداث تحول داخلي عميق؛ لأن التوجيه عند الحلاج ليس طلبًا للفعل، بل دعوة لتجاوز الذات.وفي موضع آخر قال الحلاج: (الحلاج، ١٩٩٣، صفحة ١٥٩)

فَلَا تَطْلُبَنَّ لِلْمَرْءِ دِينًا فَإِنَّهُ يَصُدُّ عَنِ الْأَصْلِ الْوَثِيقِ، وَإِنَّمَا
يُطَالِبُهُ أَصْلٌ يُعَبِّرُ عِنْدَهُ جَمِيْعَ الْمَعَالِي وَالْمَعَانِي فَيَفْهَمُهَا

تقوم هذه الأبيات على بنية توجيهية واضحة تتجلى في صيغة النهي "لا تطلبنَّ"، وهي من أبرز الأفعال الكلامية التي يقصد بها المتكلم التأثير في سلوك المخاطب وتوجيهه. غير أنّ التحليل التداولي يكشف أن هذا التوجيه لا يُفهم على مستواه الحرفي بوصفه نهيًا مباشرًا، بل يتجاوز ذلك إلى بعدٍ صوفي عميق يقوم على إعادة توجيه الوعي لا مجرد ضبط السلوك.

فالنهي في قوله "فلا تطلبنَّ للمرء دينًا" لا يهدف إلى منع المخاطب من فعلٍ محدد فحسب، بل يحمل دعوة ضمنية إلى تجاوز الفهم الشكلي للدين، والانتقال نحو "الأصل الوثيق" الذي يشير، في السياق الصوفي، إلى الحقيقة الباطنية أو الجوهر الروحي. ومن ثمّ، يتحول الفعل التوجيهي من مجرد نهي سلوكي إلى دعوة تأملية تدفع المتلقي إلى إعادة النظر في تصوراته. وتؤدي الجملة التعليلية "فإنه يصدّ عن الأصل الوثيق" وظيفة حجاجية تدعم القوة الإنجازية للنهي، إذ يبرر المتكلم موقفه عبر بيان أثر الانشغال بالمظاهر على حجب الحقيقة. وهنا لا يعمل التوجيه عبر الإلزام المباشر، بل عبر الإقناع والتأويل.

أما قوله "وإنما يطالبه أصلٌ" فيكشف عن انتقال الخطاب من التوجيه الخارجي إلى التوجيه الداخلي، إذ يصبح "الأصل" قوة معنوية تستدعي الإنسان إلى إدراك المعاني العليا. وبذلك، يتخذ التوجيه طابعًا معرفيًا وروحيًا، يتجاوز حدود الأمر والنهي التقليديين. يمكن توضيح التحول التداولي في الجدول الآتي:

المقصود التوجيهي	**الظاهر اللغوي**
تجاوز الظاهر	لا تطلبن دينًا
التحذير من الحجاب	يصد عن الأصل

مجلة آداب المستنصرية
٢٠٢٦،ايلول،مجلد ٥٠،العدد ١١٥، ص١-١٩
الجامعة المستنصرية

Mustansiriyah Journal of Arts
2026, September, Vol. 50, No. 115, PP.1-19
Mustansiriyah University

ISSN:0258-1086

الظاهر اللغوي	المقصود التوجيهي
الأصل الوثيق	الحقيقة الروحية
جميع المعالي والمعاني	الدعوة إلى المعرفة الباطنية

يتبيّن أن الأفعال التوجيهية في خطاب الحلاج لا تتجه إلى فرض سلوك خارجي أو تحقيق امتثال مباشر، بل تنهض بوظيفة أعمق تتمثل في إحداث تحوّل في وعي المتلقي وإعادة تشكيل أفق إدراكه. يغدو التوجيه أداة تداولية تُفضي إلى فتح مجال التأويل والكشف عن البعد الباطني للتجربة الصوفية، بحيث لا يقود الخطاب إلى الفعل بقدر ما يقود إلى إدراك الحقيقة.

٣-**الأفعال الالتزامية:** تُعرَّف الأفعال الالتزامية بأنها الأفعال الكلامية التي يُلزم فيها المتكلم نفسه بإنجاز فعلٍ مستقبلي، كالوعد والتعهّد والالتزام والوعيد، إذ تتجه القوة الإنجازية فيها نحو ذات المتكلم، فيغدو القول تعبيرًا عن التزام داخلي يقيّده بتنفيذه. وفي الإطار التداولي، لا تنحصر هذه الأفعال في صيغها الصريحة، بل قد تتجلى ضمن بنيات خبرية أو تعبيرية تنطوي على التزام ضمني يُستدل عليه عبر السياق والقرائن.

وفي شعر الحلاج، تكتسب الأفعال الالتزامية بُعدًا صوفيًا خاصًا، إذ لا تعبّر عن التزامات سلوكية مباشرة، بل تجسّد عهدًا روحيًا يلتزم فيه المتكلم بالثبات في طريق المحبة، وقبول المعاناة، والسير نحو الفناء، مما يمنحها طابعًا وجوديًا يتجاوز الدلالة الظاهرة. يتحول الالتزام عند الحلاج من وعدٍ سلوكي إلى عهدٍ وجودي؛ لأن الإرادة في خطاب الحلاج ليست اختيارًا، بل التزامًا بالمعاناة. ويتجلى ذلك في قوله:(الحلاج، ١٩٩٣، صفحة ٤١٢)

أُرِيدُكَ لَا أُرِيدُكَ لِلثَّوَابِ وَلَكِنْ أُرِيدُكَ لِلْعِقَابِ
فَكُلُّ مَآرِبِي قَدْ نِلْتُ مِنْهَا سِوَى مَلْذُوذِ وَجْدِي بِالْعَذَابِ

تقوم هذه الأبيات، في مستواها الظاهري، على بنية خبرية تتجلى في تكرار الفعل "أريد"، غير أنّ التحليل التداولي يكشف عن حضور فعل التزامي ضمني، إذ تتحول الإرادة من مجرد تعبير عن رغبة إلى صيغة إلزام ذاتي يقيّد بها المتكلم نفسه بمسار روحي محدّد.

١-يتجلّى الفعل الالتزامي في تكرار "أريدك"، إذ تتحول الإرادة من رغبة عابرة إلى عهدٍ وجودي يحصر المتكلم ذاته في المحبوب وحده.

٢-يعزّز نفيُ الثواب هذا الالتزام في قوله "لا أريدك للثواب"، حيث تُلغى الغاية النفعية لصالح محبة خالصة لا تنتظر جزاءً.

٣-يحمل قوله "ولكن أريدك للعقاب" دلالة صوفية تجعل المعاناة سبيلًا للفناء والتطهّر، فيتحول الألم إلى التزام روحي مقصود.

Mustansiriyah Journal of Arts
2026, September, Vol. 50, No. 115, PP.1-19
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
٢٠٢٦،ايلول،مجلد ٥٠،العدد ١١٥، ص١-١٩
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

٤-تؤدي الجملة الخبرية "فكل مآربي قد نلت منها" وظيفة تعليلية تُعلن استغناء المتكلم عن مطالب الدنيا، بما يدعم صدق الالتزام وثباته.

٥-يبلغ الفعل الالتزامي ذروته في قوله "سوى ملذوذ وجدي بالعذاب"، حيث يغدو الألم اختيارًا وجوديًا دائمًا لا مجرد نتيجة عارضة.

الظاهر اللغوي	المقصود الالتزامي
أريدك	ألتزم بك
لا أريدك للثواب	أرفض المنفعة
أريدك للعقاب	ألتزم بطريق الفناء
نلت مآربي	استغنيت عن الدنيا
وجدي بالعذاب	اخترت المعاناة

يتضح من هذا التمثيل أن البنية الخبرية في هذه الأبيات لا تؤدي وظيفة تقريرية، بل تتحول تداوليًا إلى فعل التزامي غير مباشر، إذ تُستفاد دلالة التعهد من خلال تقييد الإرادة وحصرها في المحبوب، ونفي الدوافع النفعية، وتبنّي المعاناة بوصفها مسارًا للاتحاد. فالإرادة، في هذا السياق، لا تعبّر عن رغبة عابرة، بل تُنجز التزامًا داخليًا يقيّد المتكلم بموقف وجودي ثابت، يتأسس على رفض المنفعة وتجاوز المقاييس المألوفة، بما يجعل العلاقة مع المحبوب غاية في ذاتها لا وسيلة إلى غاية أخرى.

وعليه، فإن الالتزام عند الحلاج لا يُفهم بوصفه وعدًا سلوكيًا مؤقتًا، بل بوصفه عهدًا وجوديًا دائمًا، يتجسد لغويًا عبر بنية خبرية تحمل في عمقها قوة إنجازية تُلزم المتكلم بذاته قبل أن تتوجه إلى غيره. فالالتزام في الخطاب الحلاجي ليس قولًا عن الفعل، بل التزامٌ بالكينونة. وفي موضع آخر قال الحلاج: (الحلاج، ١٩٩٣، صفحة ٥١٣)

كُنْ لِي كَمَا كُنْتَ لِي فِي حِيْنِ لَمْ أَكُنْ

تقوم هذه الأبيات، في مستواها الظاهري، على بنية إنشائية تتجلى في فعل الأمر "كُنْ"، وهو فعل توجيهي يُفترض أن يهدف إلى حمل المخاطب على الاستجابة. غير أنّ التحليل التداولي يكشف أن الخطاب يتجاوز الوظيفة الطلبية المباشرة، ليؤدي فعلًا التزاميًا ضمنيًا، إذ يتحول القول إلى صيغة يقيّد بها المتكلم ذاته بعلاقة روحية قائمة على الثبات في المحبة والاتصال بالمحبوب.

فعبارة "كُنْ لي" لا تُفهم بوصفها طلبًا عابرًا، بل تعبّر عن رغبة تحمل في عمقها التزامًا وجوديًا، إذ يربط المتكلم ذاته بالمحبوب ربطًا مطلقًا، بما يجعل الخطاب أقرب إلى عهد روحي دائم؛ لأن استحضار الماضي في

Mustansiriyah Journal of Arts
2026, September, Vol. 50, No. 115, PP.1-19
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
٢٠٢٦،ايلول،مجلد ٥٠،العدد ١١٥، ص١-١٩
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

قوله "كما كنت لي" يكشف عن تمسّك المتكلم بحالة سابقة من القرب والاتحاد، وسعيه إلى استمرارها، وهو ما يمنح القول بعدًا التزاميًا يتجاوز حدود الطلب الظاهري.

أما قوله "في حين لم أكن" فيحمل دلالة صوفية عميقة تتصل بمفهوم الفناء، إذ يُلمّح المتكلم إلى غياب الأنا الفردية أمام حضور المحبوب؛ لأن الالتزام هنا لا يتعلق بفعل خارجي أو موقف سلوكي، بل يرتبط بالثبات في حالة روحية يتلاشى فيها الشعور بالذات. ويمكن توضيح التحول التداولي في الجدول الآتي:

الظاهر اللغوي	المقصود الالتزامي
كن لي	ألتزم بالاتصال بك
كما كنت لي	أتمسك بحالة الاتحاد
حين لم أكن	أفني ذاتي فيك

يتضح أن الخطاب يتحول من صيغة طلبية مباشرة إلى فعل التزامي غير مباشر، إذ يُستفاد معنى التعهد من الإصرار على استمرار العلاقة الروحية، والثبات في تجربة الفناء والاتحاد. ومن ثمّ، فإن الالتزام عند الحسين بن منصور الحلاج لا يظهر في صورة وعد صريح، بل يتجسد بوصفه عهدًا وجوديًا يربط المتكلم بالمحبوب ربطًا دائمًا. الالتزام عند الحلاج ليس تعهدًا بالفعل، بل إقامةٌ دائمة في حضرة المحبوب.

٤- الأفعال التعبيرية: تُعدّ الأفعال التعبيرية من الأنماط الأساسية في تصنيف الأفعال الكلامية، إذ تُعنى بالكشف عن الحالة النفسية أو الشعورية للمتكلم إزاء موقف معيّن، مثل الحزن، والفرح، والألم، والشوق، والندم، دون أن تُحدث تغييرًا مباشرًا في الواقع الخارجي. غير أن قيمتها التداولية لا تكمن في بعدها الوصفي فحسب، بل في قدرتها على تمثيل الموقف الداخلي للمتكلم، والإسهام في بناء البعد الوجداني للخطاب.

وفي شعر الحلاج، تكتسب الأفعال التعبيرية خصوصية لافتة، إذ تتجاوز حدود التعبير عن الانفعالات الإنسانية المألوفة، لتغدو أداة لنقل تجربة صوفية عميقة، قوامها الشوق، والمعاناة، والفناء في المحبوب. فالتعبير في هذا السياق لا يقتصر على الإفصاح عن الشعور، بل يتحول إلى تمثيل لغوي لتجربة وجودية مركّبة. ويتجلى ذلك في قول الحلاج: (الحلاج، ١٩٩٣، صفحة ٣٦١):

أَرْسَلْتَ تَسْأَلُ عَنِّي كَيْفَ كُنْتُ وَمَا لَقِيتُ بَعْدَكَ مِنْ هَمٍّ وَمِنْ حَزَنِ

تقوم هذه الأبيات، في مستواها الظاهري، على بنية خبرية، إذ يُخبر المتكلم عن سؤال وُجِّه إليه وعن حالته بعد الفراق، غير أنّ التحليل التداولي يكشف أن هذا الإخبار لا يؤدي وظيفة تقريرية، بل يتحول إلى فعل تعبيري يعكس حالة نفسية قائمة على الألم والمعاناة.

فعبارة "أرسلتَ تسألُ عني" تبدو خبرية من حيث التركيب، غير أنها تحمل بعدًا وجدانيًا ضمنيًا، إذ تستدعي حضور المخاطب بما يرتبط به من دلالات عاطفية، كالرعاية أو الغياب، مما يضفي على الخطاب طابعًا

Mustansiriyah Journal of Arts
2026, September, Vol. 50, No. 115, PP.1-19
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
٢٠٢٦،ايلول،مجلد ٥٠،العدد ١١٥، ص١-١٩
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

شعوريًا يتجاوز مجرد نقل المعلومة. كما أن قول "كيف كنتُ" يحيل إلى زمن ماضٍ، ويعكس إحساسًا ضمنيًا بفقدان حالة سابقة، الأمر الذي يشي بحضور الحنين بوصفه بُعدًا تعبيريًا غير مباشر.

أما قوله "ما لقيتُ بعدك من همٍّ ومن حزنٍ"، فيمثل ذروة التصعيد التعبيري، إذ ينتقل الخطاب من الإيحاء إلى التصريح، مُعلنًا بوضوح عن المعاناة، ومكثّفًا الشعور بالألم والفقد. وهنا يتجلى البعد التداولي للنص، إذ لا يُقصد بالإخبار نقل تجربة بقدر ما يُراد به تفريغ حالة وجدانية وإشراك المتلقي في معايشتها.

وبذلك، تتحول البنية الخبرية في هذه الأبيات إلى أداة تعبيرية عميقة، تستعمل لا لوصف الواقع، بل لتمثيل التجربة الشعورية، مما يجعل الأفعال التعبيرية في هذا السياق أفعالًا غير مباشرة، قائمة على الإيحاء والتأثير الوجداني. فالتعبير عند الحلاج لا ينقل الشعور، بل يُجسّده لغويًا؛ لأن الأفعال التعبيرية في الخطاب الحلاجي ليست وصفًا للانفعال، بل معايشةٌ له داخل اللغة.

الظاهر اللغوي	**المقصود التعبيري**
أرسلت	تذكّر العلاقة
تسأل عني	شوق ضمني
كيف كنت	حنين للماضي
ما لقيت	تجربة معاناة
هم وحزن	ألم صوفي

يتضح مما تقدم أن الخطاب لا يصف حدثًا، بل يستعيد تجربة شعورية، كما أن الفعل "لقيت" لا يدل على تجربة عادية، بل معاناة ممتدة. البعد التداولي للنص يقوم على استحضار الغائب، ومقارنة بين حالين (قبل/بعد)، وتفريغ شعوري مباشر؛ مما يجعله فعلًا تعبيريًا خالصًا.

إذًا التعبير عند الحلاج يبدأ من الذاكرة وينتهي بالألم. ويتجلى الفعل التعبيري في قول الحلاج "أرسلت تسأل عني كيف كنت وما لقيت بعدك من هم ومن حزن"، إذ يبدو الخطاب في ظاهره إخباريًا، غير أنه يؤدي وظيفة تعبيرية، إذ يكشف عن حالة نفسية عميقة تتجسد في الحزن والمعاناة الناتجة عن الفراق. ويعتمد النص على استحضار الماضي ومقارنته بالحاضر،مما يعزز البعد الوجداني ويجعل الخطاب وسيلة للإفصاح عن تجربة شعورية تتجاوز حدود الإخبار. وفي موضع آخر قال الحلاج:(الحلاج، ١٩٩٣، صفحة ٢٩٠)

نَسَمَاتُ الرِّيحِ، قُولِي لِلرَّشَا لَمْ يَزِدْنِي الْوِرْدُ إِلَّا عَطَشًا

تقوم هذه الأبيات، في ظاهرها، على بنية إنشائية تتجلى في النداء والأمر "قولي"، مما يوحي بأن الخطاب يهدف إلى توجيه المخاطب وحمله على تبليغ رسالة. غير أنّ التحليل التداولي يكشف أن الوظيفة العميقة

Mustansiriyah Journal of Arts
2026, September, Vol. 50, No. 115, PP.1-19
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
٢٠٢٦،ايلول،مجلد ٥٠،العدد ١١٥، ص١-١٩
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

للخطاب ليست توجيهية، بل تعبيرية، **إذ** يتخذ المتكلم من عناصر الطبيعة وسيطًا للإفصاح عن حالة وجدانية قائمة على الشوق والحرمان.

فاستدعاء "نسمات الريح" لا يُفهم بوصفه خطابًا حقيقيًا موجّهًا إلى الريح، بل يحمل بعدًا إيحائيًا يُبرز حالة العجز عن الوصول المباشر إلى المحبوب، مما يدفع المتكلم إلى اللجوء إلى الطبيعة بوصفها وسيطًا شعوريًا. وهنا تتحول صيغة الأمر "قولي" من طلب فعلي إلى وسيلة لتفريغ الانفعال الداخلي.

أما قوله "لم يزدني الورد إلا عطشًا"، فيمثّل ذروة التعبير الوجداني، إذ تقوم العبارة على مفارقة دلالية تُحوّل"الورد" الذي يُفترض أن يكون رمزًا للارتواء واللذة، إلى سبب في ازدياد العطش؛لأن الخطاب لا يصف حالة عاطفية عابرة، بل يجسّد طبيعة التجربة الصوفية القائمة على دوام التوق واستحالة الاكتفاء بالمحبوب.

ويكشف هذا التحول التداولي أن الأفعال التعبيرية في النص لا تقتصر على نقل الشعور، بل تعمل على إعادة إنتاجه داخل الخطاب، بحيث يصبح المتلقي شريكًا في معايشة حالة الشوق والمعاناة. ويمكن توضيح هذا التحول في الجدول الآتي:

الظاهر اللغوي	**المقصود التعبيري**
قولي للرشا	الإفصاح عن الشوق
الورد	رمز القرب من المحبوب
ازداد العطش	استمرار التوق والحرمان

وبذلك، تتحول البنية الإنشائية والخبرية في هذه الأبيات إلى أداة تعبيرية عميقة، تُستعمل لا للإخبار أو الطلب المباشر، بل لتجسيد حالة وجدانية تتجاوز حدود التعبير العادي، مما يمنح الخطاب طابعًا صوفيًا قائمًا على الرمز والإيحاء. التعبير عند الحلاج لا يطفئ الشوق، بل يكشف عن استحالته.

٥_ الأفعال الإعلانية:

تُعرَّف الأفعال الإعلانية بأنها من الأفعال الكلامية التي تُحدِث تغييرًا في الواقع بمجرد التلفظ بها، مثل الحكم، والإعلان، والتسمية، والعزل، والتنصيب، إذ يكون القول نفسه مُنشِئًا لوضع جديد. ويشترط في هذا النوع من الأفعال توافر سلطة أو سياق مؤسسي يُضفي على القول قوته الإنجازية. غير أنّ الخطاب الصوفي، وبخاصة عند الحلاج، يعيد توظيف هذا النوع من الأفعال في سياق مختلف، إذ لا يكون التغيير في واقع خارجي مؤسسي، بل في الواقع الوجودي أو الروحي، إذ يتحول القول إلى أداة لإعلان حالة من الاتحاد أو الفناء.

تتجاوز الأفعال الإعلانية في الخطاب الصوفي وظيفتها التقليدية، لتكتسب بعدًا تداوليًا عميقًا، إذ تتحول من مجرد أقوال واصفة إلى أفعال منشئة لواقع روحي جديد. ويظهر ذلك جليًا في قول الحلاج: (الحلاج، ١٩٩٣، صفحة ١٦٣)

Mustansiriyah Journal of Arts
2026, September, Vol. 50, No. 115, PP.1-19
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
٢٠٢٦،ايلول،مجلد ٥٠،العدد ١١٥، ص١-١٩
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

أَلَا أُبْـلِـغُ أَحِـبَّـائِـي بِـــأَنِّـــي رَكِبْتُ الْبَحْرَ وَانْكَسَرَتِ السَّفِينَةُ
عَلَى دِيْنِ الصَّلِيْبِ يَكُونُ مَوْتِي وَلَا الْبَطْحَاءَ أُرِيدُ وَلَا الْمَدِينَةَ.

تقوم هذه الأبيات على بنية إخبارية ظاهرًا، غير أن التحليل التداولي يكشف عن حضور فعل إعلاني مركّب، إذ لا يقتصر القول على نقل خبر، بل يُنشئ حالة وجودية جديدة يعلن فيها المتكلم تحوّله الكامل وانفصاله عن عالمه السابق. فالمستوى الظاهري في قول الحلاج الآتي:" ألا أبلغ أحبائي" ← طلب/استفهام إنشائي. "ركبت البحر" ← خبر." انكسرت السفينة" ← خبر. "يكون موتي" ← تقرير مستقبلي.

يتضح أن الفعل الظاهري في هذا النص يتوزع بين الإخباري والإنشائي، غير أن التحليل التداولي يكشف أن القوة الإنجازية الغالبة هي القوة الإعلانية، إذ لا يقتصر الخطاب على وصف حدث أو نقل خبر، بل يتحول إلى فعل لغوي يُنشئ واقعًا جديدًا، يتمثل في إعلان التحول والانفصال وبيان المصير. ويتجلى ذلك من خلال جملة من الآليات التداولية؛ إذ تمثل عبارة "ركبت البحر" إعلانًا عن الدخول في تجربة صوفية، حيث لا يُفهم البحر بوصفه مكانًا ماديًا، بل رمزًا للطريق الروحي. كما تعكس عبارة "انكسرت السفينة" إعلانًا عن الانهيار، إذ ترمز السفينة إلى الذات ووسائلها، ويشير انكسارها إلى الفناء.

أما قوله "على دين الصليب يكون موتي"، فلا يُفهم على معناه الحرفي، بل يؤدي وظيفة إعلانية تتمثل في التعبير عن المعاناة والتضحية والفداء. وفي السياق نفسه، تمثل عبارة "ولا البطحاء أريد ولا المدينة" إعلانًا صريحًا للانفصال، من خلال نفي الأمكنة، بما يدل على الانقطاع عن العالم المادي والتوجه نحو بعد روحي خالص.

الظاهر اللغوي	**المقصود الإعلاني**
أبلغ أحبائي	إعلان عام
ركبت البحر	الدخول في التجربة
انكسرت السفينة	الفناء
موتي	نهاية الذات
لا أريد البطحاء	رفض العالم
لا المدينة	الانفصال التام

لا ينهض الخطاب على نقل الوقائع بقدر ما يقوم على إنشائها، إذ يتحول القول إلى أداة لإعلان التحوّل الوجودي للمتكلم. ومن ثمّ، يتخذ النص طابعًا إعلانيًا مركّبًا يتمثل في إعلان الانتقال والفناء والقطيعة، مما يمنح الفعل الإعلاني بعدًا وجوديًا يتجاوز إطاره المؤسسي التقليدي. إذًا الإعلان عند الحلاج هو إعلان الفناء. وفي موضع آخر قال الحلاج:(الحلاج، ١٩٩٣، صفحة ٣١١)

Mustansiriyah Journal of Arts
2026, September, Vol. 50, No. 115, PP.1-19
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
٢٠٢٦،ايلول،مجلد ٥٠،العدد ١١٥، ص١-١٩
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

فَـأَنَـا الْـحَـقُّ وَالْـحَـقُّ حَـقٌّ لِلْحَقِّ حَقٌّ لَا بِـسْ ذَاتِـهِ فَـمَـا ثَـمَّ فَـرْقٌ

تقوم هذه العبارة، في ظاهرها، على بنية خبرية تعتمد على التوكيد والإسناد، بما يوحي بأن الخطاب يهدف إلى تقرير حقيقة معينة. غير أنّ التحليل التداولي يكشف أن القول لا يؤدي وظيفة إخبارية بالمعنى التقليدي، بل ينهض بوظيفة إعلانية، إذ يتحول التلفظ ذاته إلى فعل يُنشئ حالة وجودية قائمة على الاتحاد وسقوط التمايز بين الذات والمطلق.

فعبارة "فأنا الحق" لا تُفهم بوصفها إخبارًا عن هوية ذاتية، بل باعتبارها إعلانًا عن تجربة صوفية يبلغ فيها المتكلم مرتبة الفناء، إذ تتلاشى حدود الأنا الفردية في حضور "الحق". ومن ثمّ، لا يصف الخطاب واقعًا قائمًا، بل يُنجز واقعًا روحيًا جديدًا عبر القول نفسه. ويُعزز هذا البعد الإعلاني قوله "فما ثمّ فرق"، إذ تعمل الجملة على نفي كل أشكال الثنائية والفصل بين الذات والمحبوب، مما يجعل الخطاب قائمًا على إلغاء المسافة الوجودية بين الطرفين. وهنا تتحول اللغة من وسيلة لوصف التجربة إلى أداة لإنشائها وإعلانها. ويكشف التكرار المكثف للفظ "الحق" عن وظيفة تداولية تقوم على ترسيخ معنى الوحدة المطلقة، إذ لا يعود اللفظ مجرد عنصر لغوي، بل يتحول إلى مركز دلالي يُعيد بناء الواقع الروحي داخل الخطاب. ويمكن توضيح هذا التحول التداولي في الجدول الآتي:

الظاهر اللغوي	المقصود الإعلاني
أنا الحق	إعلان الفناء والاتحاد
الحق حق للحق	تأكيد وحدة المطلق
فما ثم فرق	نفي الثنائية والتمييز

يتضح أن الفعل الإعلاني في هذا الخطاب لا يرتبط بسلطة مؤسسية أو واقع خارجي، بل يتصل بسياق صوفي وجودي، حيث يغدو القول نفسه فعلًا يُنشئ حالة روحية جديدة قائمة على الاتحاد والفناء. الإعلان عند الحلاج لا يغيّر الواقع الخارجي، بل يعيد تشكيل الوجود ذاته.

وفي ضوء المقاربة التداولية المعتمدة في هذه الدراسة، يمكن تصنيف الأفعال الكلامية في ديوان الحلاج ضمن أنماطها الخمسة، في إطار تحليلي يُبرز تفاعلها الوظيفي وتداخلها الدلالي داخل بنية الخطاب الصوفي.

نوع الفعل	التعريف التداولي	الفعل الظاهري	القوة الإنجازية	الوظيفة العميقة	شاهد من الديوان	التحول التداولي
الإخباري	نقل معلومة يعتقد المتكلم بصحتها	خبر	إعلان ضمني	إلغاء الثانية (أنا/أنت)	"أنا من أهوى..."	من نقل المعنى ←إعلان الوجود

Mustansiriyah Journal of Arts
2026, September, Vol. 50, No. 115, PP.1-19
Mustansiriyah University

مجلة آداب المستنصرية
٢٠٢٦،ايلول،مجلد ٥٠،العدد ١١٥، ص١-١٩
الجامعة المستنصرية

ISSN:0258-1086

التوجيهي	حمل المخاطب على انجاز فعل	أمر/طلب	توجيه غير مباشر	استدعاء الوعي لا الفعل	"اقتلوني يا ثقاتي"	من طلب الفعل ←دعوة الفناء
الالتزامي	التزام المتكلم بفعل مستقبلي	خبر(أريد)	التزام ضمني	تعهد روحي بالثبات	"أريدك لا أريدك للثواب"	من رغبة ← عهد وجودي
التعبيري	التعبير عن حالة شعورية	خبر ظاهري	تعبير وجداني	تفريغ تجربة نفسية	"ما لقيت بعدك من هم"	من وصف ← احساس
الإعلاني	إنشاء واقع جديد بالقول	خبر+ إنشاء	إعلان وجودي	إعلان التحول والفناء	"ركبت البحر"	من وصف← إنشاء واقع

يتضح من خلال هذا الجدول أن الأفعال الكلامية في شعر الحلاج لا تؤدي وظائفها المباشرة، بل تتحول إلى أفعال غير مباشرة ذات أبعاد تداولية عميقة، إذ ينتقل الخطاب من مستوى التقرير اللغوي إلى مستوى الإنجاز الوجودي، فيغدو القول وسيلة لا لنقل المعنى، بل لإنشائه وتجسيده داخل التجربة الصوفية.

٢-أهم النتائج التي وصل إليها البحث:

في ختام هذه الدراسة التي عالجت أفعال الكلام في شعر الحسين بن منصور الحلاج في ضوء المقاربة التداولية، يتضح أن الخطاب الحلاجي يقدّم نموذجًا لغويًا مركّبًا تتشابك فيه الوظائف الدلالية والإنجازية، بحيث لا تنحصر اللغة في حدود نقل المعنى، بل تتجاوز ذلك لتغدو أداة فاعلة في إنتاجه وإنجازه ضمن سياق صوفي مخصوص.

وقد بيّن التحليل أن الأفعال الكلامية في ديوان الحلاج لا تستقر عند حدودها التصنيفية التقليدية، بل تتخذ طابعًا غير مباشر، وتكتسب دلالات عميقة لا تُفهم إلا في إطار السياق الروحي الذي يؤطر الخطاب. فالأفعال الإخبارية لم تعد مجرد وسيلة لنقل الواقع، بل تحوّلت إلى صيغة لإعلان تجربة الفناء والاتحاد، في حين أعادت الأفعال التوجيهية تشكيل وظيفتها، فانتقلت من التأثير في سلوك المخاطب إلى التعبير عن نزوع داخلي نحو تجاوز الذات. كما برزت الأفعال الالتزامية بوصفها عهودًا روحية يقيّد بها المتكلم ذاته، لا وعودًا سلوكية عابرة، بينما عكست الأفعال التعبيرية حالات وجدانية مكثفة جسّدت عمق المعاناة الصوفية. أما الأفعال الإعلانية، فقد أسهمت في إضفاء بعد وجودي على الخطاب، إذ غدا القول نفسه فعلًا منشئًا لواقع قائم على التحول والانفصال والفناء.

ISSN:0258-1086

كما أبرزت الدراسة الدور المحوري للسياق التداولي في توجيه الدلالة، إذ لا يُفهم الخطاب الحلاجي بمعزل عن خلفيته الصوفية القائمة على الرمز والإيحاء والتأويل؛ لأن اللغة في هذا السياق لا تستعمل لوصف ما هو كائن، بل لتجسيد ما يُعاش، مما يمنحها طابعًا وجوديًا يتجاوز وظيفتها التواصلية المباشرة.

وعليه، يمكن القول إن نظرية أفعال الكلام أثبتت فاعليتها في مقاربة الشعر الصوفي، لما تتيحه من إمكانات في الكشف عن الأبعاد الإنجازية للغة، وبيان كيفية تحوّل القول إلى ممارسة لغوية تعبّر عن تجربة روحية عميقة. كما تفتح هذه الدراسة آفاقًا لبحوث لاحقة تُعنى بتطبيق المقاربة التداولية على نصوص صوفية أخرى، أو إجراء مقارنات بين تجارب شعرية مختلفة، بما يسهم في تعميق فهم الخصائص الأسلوبية والتداولية لهذا النوع من الخطاب. فالخطاب عنده فعلًا وجوديًا، لا يُقال فيه المعنى، بل يُنجَز.

Funding
This research received no specific grant from any funding agency in the public, commercial, or not-for-profit sectors

Conflict of Interest
The authors declare that there is no conflict of interest regarding the publication of this paper

Acknowledgments
The authors would like to extend their heartfelt thanks to institution, for the moral support provided during the course of this research. The encouragement and guidance provided by the institution have helped tremendously in completing this research.

References

بدوي، عبد الرحمن. (١٩٩٨). ***تاريخ التصوف الإسلامي.*** **القاهرة: دار النهضة العربية.** .

البراهمة، محمد عبد الله. (٢٠١٢). *التداولية وتحليل الخطاب* (المجلد ١). عمّان: دار كنوز المعرفة.

حسان، تمام. (٢٠١٠). *اللغة العربية معناها ومبناها* (المجلد ٦). القاهرة: عالم الكتب.

الحلاج، الحسين بن منصور. (١٩٩٣). *شرح ديوان الحلاج* (المجلد ٢). (كامل الشيبي، المحرر) بغداد: منشورات الجمل.

الخطابي، محمد. (١٩٩١). *لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب* (المجلد ١). المغرب: المركز الثقافي العربي.

الزيات، أحمد حسن. (٢٠٠٤). *الدلالة والتداولية.* القاهرة: دار المعارف.

السعران، محمود. (١٩٩٠). *علم اللغة مقدمة للقارئ العربي* (المجلد ١). القاهرة: دار الفكر العربي.

الطوسي أبو ، نصر السراج. (١٩٦٠). *اللمع في التصوف.* (عبد الحليم محمود، المحرر) القاهرة: دار الكتب الحديثة.

عبد الرحمن، طه . (٢٠٠٥). *اللسان والميزان أو التكوثر العقلي* (المجلد ٢). المغرب: المركز الثقافي العربي.

عبد الرحمن، محمد حسن. (٢٠٠٨). *التداولية في الفكر اللغوي الحديث* (المجلد ١). عمّان: دار كنوز.

ISSN:0258-1086

قاسم، محمد كمال. (٢٠٠٣). *الحلاج: حياته وشعره* (المجلد ١). القاهرة: دار الفكر العربي.

محمود، عبد الحليم. (١٩٩١). *قضية التصوف المنقذ من الضلال* (المجلد ٦). القاهرة: دار المعارف.

نحلة، محمود أحمد. (٢٠٠٢). *آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر* (المجلد ٢). مصر: دار المعرفة الجامعية.

Abdul Rahman, Muhammad Hassan. (2008). Al-Tadawuliyya fi al-Fikr al-Lughawi al-Hadith (Vol. 1). Amman: Dar Kunooz.

Abdul Rahman, Taha. (2005). Al-Lisan wa al-Mizan aw al-Takawthul al-'Aqli (Vol. 2). Morocco: Al-Markaz al-Thaqafi al-'Arabi.

Al-Barahma, Muhammad Abdullah. (2012). Pragmatics and Discourse Analysis (Vol. 1). Amman: Dar Kunuz al-Ma'rifa.

Al-Hallaj, al-Husayn ibn Mansur. (1993). Commentary on the Diwan of al-Hallaj (Vol. 2). (Kamil al-Shaybi, ed.) Baghdad: Manshurat al-Jamal.

Al-Khattabi, Muhammad. (1991). Text Linguistics: An Introduction to Discourse Coherence (Vol. 1). Morocco: Arab Cultural Center.

Al-Sa'ran, Mahmoud. (1990). Linguistics: An Introduction for the Arab Reader (Vol. 1). Cairo: Dar al-Fikr al-Arabi.

Al-Tusi, Abu Nasr al-Sarraj. (1960). Al-Luma' fi al-Tasawwuf (Glimpses into Sufism). (Abdul Halim Mahmoud, ed.) Cairo: Dar al-Kutub al-Haditha.

Al-Zayyat, Ahmad Hasan. (2004). Semantics and Pragmatics. Cairo: Dar al-Ma'arif.

Badawi, Abd al-Rahman. (1998). A History of Islamic Sufism. Cairo: Dar al-Nahda al-Arabiya.

Hassan, Tamam. (2010). The Arabic Language: Its Meaning and Structure (Vol. 6). Cairo: Alam al-Kutub.

Mahmoud, Abdul Halim. (1991). Qadiyat al-Tasawwuf al-Munqidh min al-Dalal (Vol. 6). Cairo: Dar al-Ma'arif.

Nahla, Mahmoud Ahmad. (2002). Afaq Jadida fi al-Bahth al-Lughawi al-Mu'asir (Vol. 2). Egypt: Dar al-Ma'rifa al-Jami'iyya.

Qasim, Muhammad Kamal. (2003). Al-Hallaj: Hayatuhu wa Shi'ruhu (Vol. 1). Cairo: Dar al-Fikr al-'Arabi.